كاتب اقتصادى وثبة اليابان الصناعية فى هذه الكلمات : « إن الأجور الصناعية فى اليابان سويت بالأجور الزراعية ، وغدت ثلث ما كانت عليه سنة ١٩٢٩ ؛ وأسبوع العمل ستون ساعة ؛ وقد يبلغ طبقاً لبعض الاحصاءات فى صناعة القطن مائة وعشرين ساعة ، وفى اليابان شعب يزيد فى العام مليوناً ، والعنصر البشرى يعنى به أكثر مما يعنى بالآلات . . . وتلك فى الواقع مدنية صناعية جديدة تجمع بين النظم الفنية الأمريكية ورخص العمل الشرقى ، فمدير المصنع اليابانى يتناول مرتباً قدره (١٧٠٠ ليرة) (نحو ٣٠ جنيهاً) وهو خمس ما يتناوله زميله الأمريكى . وأثمان المنتوجات اليابانية أقل بنحو خمسة وثلاثين فى المائة من أثمان منتوجات أى سوق أوربية أو أمريكية » . وأشار السنيور موسولينى فى إحدى خطبه أمام مجلس النقابات الصناعى إلى نهضة اليابان الصناعية بقوله : « هنالك فيما وراء الاطلانطيق تفتحت مشاريع صناعية ورأسمالية هائلة ؛ ولكن ثمة فى الشرق الأقصى توجد اليابان ، وهى منذ أن اتصلت بأوربا فى حرب سنة ١٩٠٥ ، تتقدم نحو الغرب بخطى شاسعة »

ويجب أن نذكر ما لنشاط اليابان البحرى من أثر فى تنظيم هذا الغزو ، فلليابان أسطول تجارى ضخم يربطها بأوربا وأمريكا وجميع أنحاء العالم ؛ ويعمل هذا الأسطول لحمل التجارة اليابانية إلى ماوراء البحار فى ظروف مشجعة جداً ، ويصطبغ عمله بلون التعاون القوى لأنه يعتبر أداة قوية لنشر التجارة اليابانية تسخر كل قواها ونشاطها لتحقيق هذه الغاية

وسنحاول أن نبحث فى فصل آخر ما لهذا الغزو الاقتصادى اليابانى من أثر فى السوق المصرية وفى الاقتصاد المصرى ?

محمد عبد الله عنان
المحامى

الرواية المسرحية فى التاريخ والفن

بحث مفصل تناول أطوار الرواية وأنواعها وقواعدها ومذاهبها من العصور اليونانية الى اليوم تجده منشوراً فى كتاب

فى أصول الأدب

الذى يصدر هذا الأسبوع

التاريخ الاسـلامى *

للأستاذ على الطنطاوى

هذه حياة نخمة . . . . ليست حياة واحد ، ولكنها حياة أمة ، أمة حملت مصباح النور ، حين عمّ الكونَ الظلام ، وأرشدت العالم التائه فى عُباب الجهل ، الى شاطئ العلم ، وكانت حضارتها المدرسة الثانوية التى خرّجت العقل البشرى وثقّفته ، كما خرّجته المدرسة الابتدائية اليونانية من قبلُ وثقفته . . . فكان لها الفضل على كل إنسان !

حياة أبى بكر هى الصفحة الأولى من التاريخ الاسلامى ، الذى بهر كل تاريخ وبذّه ، والذى لم تحو تواريخ الأمم مجتمعة بعض ماحوى من الشرف ، والمجد ، والاخلاص :

ذلك لأنه تاريخ الكمال الانسانى على وجه الأرض . . . . تاريخ المعجزة التى ظهرت فى بطن مكة على يد رجل واحد ؛ فلم تلبث حتى عمت مكة ، ثم امتدت حتى شملت الجزيرة ، ثم امتدت حتى بلغت أقصى الأرض . . . فكانت أكبر من الأرض ، فامتدت فى الزمان . . . . وستبلى الأرض ، ويفنى الزمان ، والمعجزة باقية :

(كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ، وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) — (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)

ذلك لأنه تاريخ الاسلام ، الذى بدا سرّه فى هذه الأمة البادية الجاهلة المتفرقة ، فجعل منها أمة لم يكن ولن يكون لها نظير ... امتزجت روح الاسلام بأرواح المسلمين وغلبت عليها ، ثم استأصلت منها حبّ الدنيا ، وانتزعت منها الطمع والحسد ، والغشّ والكذب ، وأنشأت من أصحابها قوماً هم خلاصة البشر ، وغاية مايبلغه السمو الانسانى . . . .

أنشأت من أصحابها قوماً يغضبون لله ، ويرضون لله ، ويصمتون لله ، وينطقون لله ، قد ماتت فى نفوسهم الأهواء ، وبادت منها الشهوات ، ولم يبق إلا دين يهدى ، وعقل يستهدى

* مقدمة كتاب فى سيرة أبى بكر الصديق سينشره الأستاذ فى ١٥ فبراير سنة ١٩٣٥ فى أكثر من ٣٠٠ صفحة

قوم كان دليلهم الدين ، وقانونهم هدى سيد المرسلين ، وشعارهم شعار المساكين ، وعيشهم عيش الزاهدين ، ثم كانت فتوحهم فتوح الملوك الجبارين ، وكانوا سادة العالمين ؛ لم يمنعهم زهدهم من أن يكونوا أبطال الحروب وسادة الدنيا ، ولم يفتنهم ما نالوا من مجد ، وما بلغوا من جاه ، عن دينهم وتقواهم

قوم ينصب لهم أميرهم قاضياً ، فيلبث سنة لايختصم اليه اثنان ![1] ولم يكونوا ليختصموا وبين أيديهم القرآن ، وكل واحد منهم يعرف مايحق له ، فلا يطلب أكثر منه ، ويعرف ما يجب عليه فلا يقصر فى القيام به ، ويحبّ أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه ، ويسعى ليسلم الناس من لسانه ويده : إذا مرض المسلم عاده المسلمون ، وإذا افتقر أعانوه ، وإذا أحسن شكروه ، وإذا ظُلم نصروه ، وإذا ظلم ردعوه ، دينهم نصيحة وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، ففيم يختصمون ؟

أما إنهم لايختصمون إلا على مكرمة وإحسان ، ولقد كان عمر يتعاهد عجوزاً عمياء ، فى بعض حواشى المدينة ، فكان يجيئها سحراً ، فيجد امرأً قد سبقه اليها فبرّها وأحسن اليها ، واستسقى لها وأصلح من أمرها ، فيعجب منه ويزيد فى البكور ، فلا يسبقه ، فرصده مرة من أول الليل ، حتى جاء فاذاهو . . . . أبو بكر الصديق ، وهو يومئذ خليفة[2]

أبو بكر وعمر يستبقان إلى برّ عجوز عمياء ، فى بعض حواشى المدينة . . . الله أكبر ! عقمت أم التاريخ أن تلد مثل هذا التاريخ الذى يأتى بسيد الأمة ، فى ثوب خادم الأمة ، حتى يفتش فى الليل عن عجوز عمياء ، أو رجل مقعد ، أو أسرة محتاجة ، أو مظلوم ضعيف ، أو ظالم عاتٍ — ليخدم العجوز ، ويحمل المقعد ، ويساعد المحتاج ، وينصر المظلوم ، ويأخذ على يد الظالم ، لا يبتغى على ذلك جزاء ولا شكوراً ، لأنه يعمل لله ، ولا يرجو الثواب من غير الله . . .

الله أكبر ! ضل قوم زعموا أن الاسلام إنما انتشر بالسيف ، لا والله ! إنما انتشر بمثل هـــذه الأخلاق السماوية ، إنما فتح المسلمون ثلاثة أرباع العالم المتمدن ، بهذا الايمان الذى ملأ قلوبهم ، وهذا النور الذى أشرق على نفوسهم ، وهذه القوة التى عادت بها عليهم عقيدة التوحيد :

علموا أن الله هو الفعال لما يريد ، وأنه المتصرف فى جميع الأكوان ، وأن كل شىء بقضاء منه وقدر ، وأنهم إن غُيب عنهم القدر ، وخفى عليهم علمه ، فقد أنزل عليهم القرآن ، ووضح لهم سبيله فاتبعوا القرآن ، ووقفوا عند أمره ونهيه ، فكتبوا فى سجل القدر من السعداء

والمؤمن الذى يعلم أن الله هو الفرد الصمد ، الواحد الأحد ، الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، وأنه لا يجير عليه من نبى ولا رسول ، ولا يشفع عنده إلا باذنه ، وليس بينه وبين العبد واسطة ولا نسب ، ويعلم أن الله ينصر من ينصره ، وأنه لا يضيع أجر من أحسن عملاً ، لا يسأل إلا الله ، ولا يستعين إلا بالله ، ولا يبالى بشىء إذا كان مع الله ، ولا يطمع فى جوار أحـد إذا كان جاراً لله ، ولا يحفل بالدنيا وما فيها إذا باع نفسه من الله راضياً مختاراً ، بأن له الجنة . .

* * *

كانت هـذه العقيدة أصل كل خير ناله المسلمون الأولون ، وكان وهنها فى النفوس أصل كل شرّ نال المسلمين المتأخرين الذين أفسدوا عقيدة التوحيد بما شرعوا لأنفسهم من البدع والعقائد ، فتفرقوا أيدى سبا ، وذلّوا فى أرضهم ، وهوجموا فى عقر دارهم ، وحفظ المسلمون الأولون على هذه العقيدة صفاءها وجمالها . ففتحوا ما فتحوا ، وكان فتحهم أعجوبة التاريخ ، يقف أمامها العقل خاشعاً للعظمة والجلال ، حائراً للغموض والخفاء :

أمة بدوية على غاية ما تكون عليه الأمم البادية من الخلاف والجهل ، لا دين يوحد قبائلها ويهذب من نفوسها ، ولا جامعة تجمعها ، ولا حكومة تدير أمورها ؛ ثم إلا حكومة فى العراق تخضع لملوك العجم ، وحكومة فى الشام تطيع ملوك الروم وتلبث على ذلك عصوراً . . . ثم تنهض نهضة الأسد ، تحمل فى يمناها نور القرآن ، تضىء به للشعوب طريق المجد فى الدنيا ، والسعادة فى الأخرى . وفى يسراها السيف تردُّ به الضالين المعاندين ، المصرّين على الضلال ، إلى سبيل الحق والهدى

ويبدو فيها سر الاسلام بيناً جلياً ، فاذا هـذا التفرق وهذه

(١) الأمير أبوبكر والقاضى عمر رضى الله عنهما

(٢) منتخب كنز العمال قال : رواه الخطيب عن أبى صالح الغفارى

الجاهلية ، أخوة فى الاسلام ، وتمسك بالفضائل ، وإذا هـــذا الضعف قوّة لا تعدلها قوّة ، وإذ هذه الحمية الجاهلية تواضع لله ، ورضا بأحكامه ، ونزول عند أوامره ونواهيه ، وإذا بدوى من بنى وُهيب (١) يكون بسر الاسلام — قائداً من أعظم قواد الدنيا — يهدّ أقوى صرح للظلم ، ويدك أكبر بنيان للجور على وجه الأرض ، ويغرس فى (القادســية) مكان الجبروت الفارسى بذور الحضارة الاسلامية التى نمت وأزهرت حتى أظلت الدنيا

وإذا بدوىّ قاسٍ غليظ من بنى عدىّ (٢) يكون بسرّ الاسلام عظيماً من عظماء التاريخ ، يبرّز فى العلم والسياسة والبلاغة ، ويكون له القدح المعلّى ، فى فنون الفكر ، وفنون الحرب ، وفنون القول ، ويسوس وحده الجزيرة وسورية والعراق ومصر وإفريقية فلا يعرف التاريخ أعـدلَ ولا أقومَ ولا أفضلَ منه — حاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه فى الغار

. وإذا تاجر من تجار مكة (٣) يكون بسرّ الاسلام ، أعظم العظماء ، بعد الأنبياء

* * *

هذه أعجوبة التاريخ ، وهذا هو الفتح الأعظم !

أجل ! إن الفتح الاسلامى لهو الفتح الأعظم ، الذى لم يعرف التاريخ فتحاً مثله . وكثيرٌ هم الفاتحون ، الذين فتحوا بلاداً واسعة بسيوفهم ، وأخضعوها بجنـــدهم ، وحكموها بقوتهم وسطوتهم ، ولـكن ليس فيهم مثل المسلمين ، الذين فتحوا البلاد بإيمانهم ، وفتحوا القـلوب بعدلهم ، وفتحوا العقول بعلمهم ، فـكانوا أصحاب السلطان ، وكانوا دعاة الايمان ، وكانوا بُناة المجد والحضارة والعمران

طبّقوا فى القرن السابع قواعد الحرب الانسانية — التى علمت بها أوربة فى القرن التاسع عشر وسمت إلى تطبيقها فى القرن العشرين ، فلما لم تفلح وغلبت طباعها الذئبيــة على إنسانيتها المصطنعة ، اكتفت منها بتسطيرها فى كتب الحقوق الدولية وأخذ المجدّدون من الشرقيين . . . ببريقها ولمعانها !

لقد فتحنا ثلاثة أرباع العالم المتمدن ، ولـكنا كنا نحمل العلم والهدى ، والعدل والغنى ، إلى البلاد التى نفتحها ، وكنا لا نعمد إلى الحرب إلا إذا اختار أعداؤنا الحرب ، وأبوا أن يلبو داعى الله — ثم لا نخون ولا نغدر ، ولا نغل ولا نمثل ، ولا نقتل رسولاً ولا نهدم منزلاً ، ولا ننازل أعزلاً ، ولا نهيج معتزلاً ، ولا نمس عابداً متبتّلاً (١)

ثم إذا صالحنا أعداؤنا ، ودخلوا فى ذمتنا ، حميناهم مما نحمى منه أولادنا وأهلينا ، وإذا أسلموا كانوا إخواننا لهم مالنا وعليهم ما علينا ، لا يفرّق بين المسلمين عرق ولا لغـة ، ولا جاه ولا نسب ، ولا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى (٢)

فأين هذه الفتوح من فتوح الاستعمار التى أثارتها أوربا ؟ فتحنا البلاد فتركنا أهلها أحراراً فى دينهم ومعابدهم ، أحراراً فى قضائهم ونظمهم ، أحراراً فى أموالهم وأولادهم ، فملكنا بالعدل قلوب الناس ، وأسعدناهم بالعلم ، وبسطنا عليهم ظلال الأمن ، ونشرنا فوقهم لواء الحضارة ، حتى لقد صار أهل البلاد يستصرخون المسلمين على حكوماتهم ، ويبذلون لهم عونهم على ملوكهم (٣) لا بغضاً لملوكهم ولا عداء لأوطانهم ، ولـكن حباً فى العدل ، ورغبة فى السلام ، وشوقاً إلى العلم والحضارة والعمران

فتحنا الحيرة فأهدى أهلها طائعين مختارين هدية إلى أبى بكر فقبلها وعدها من الجزية عدلاً منه وتعففاً ، وخشية أن يظلم أهل ذمته ، أو أن يكلفهم شططاً ، وتفتحون البـلاد فَتَبْتَزُّون

---

(١) سـعد بن أبى وقاص رضى الله عنـه (٢) عمر بن الخطاب رضى الله عنه (٣) أبو بكر رضى الله عنه

(١) هذا مضمون وصية أبى بكر لأسامة وجيشه حين بعث به إلى الشام

(٢) أى إن الوطنية فى الاسلام هى الدين ، والأخوة أخوة الاسلام . أما هذه البدعة الجديدة ، بدعة القوميات التى فرقوا بها بين المسلمين ، وقالوا : تركى وعربى ، ومصرى وعراقى ، فلا تتفق والاسلام فى شئ — والغرب نفسه بدأ يعدل عن الجامعة القومية الضيقة إلى جامعة إيمانية واسعة ، أى إنه بدأ يرجع لقواعد الاسلام . وهاكم الفاشية والنازية والبلشفية ، بل هاكم الماسونية ذاتها

(٣) كما وقع فى حمص أثناء الفتح ، وفى الأندلس من بعد : روى البلاذرى فى فتوح البلدان أنه لما جمع هرقل للمسلمين الجموع وبلغ المسلمين إقبالهم إليهم لوقعة اليرموك ردوا على أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من الخراج ، وقالوا : قد شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم فأنتم على أمركم . . فقال أهل حمص : لولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم ، ولندفعن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم ، ونهض اليهود وقالوا : والتوراة ، لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص إلا أن نغلب عليها ونجهد . فأغلقوا الأبواب وحرسوها ، وكذلك فعل أهل المدن التى صولحت من النصارى واليهود ، وقالوا : إن ظهر الروم وأتباعهم على المسلمين صرنا إلى ما كنا عليه ، وإلا فانا على أمرنا ما بقى للمسلمين عدد

أموالها ابتزازاً ، وتمتصون دماءها امتصاصاً ، وتمدون أيديكم إلى كل خير فيها

هكذا كانت فتوحنا وهذه فتوحكم :

مَلَكْنَا فَكَانَ ٱلْعَدْلُ مِنَّا سَجِيَّةً
فَلَمَّا مَلَكْتُمْ سَالَ بِالدَّمِ أَبْطَحُ
وَحَلَّلْتُمُ قَتْلَ ٱلْأُسَارَى وَطَالَمَا
غَدَوْنَا عَلَى ٱلْأَسْرَى نَمُنُّ وَنَصْفَحُ
فَحَسْبُكُمُ هٰذَا ٱلتَّفَاوُتُ بَيْنَنَا
فَكُلٌّ إِنَاءٍ بِٱلَّذِي فِيهِ يَنْضَحُ

* * *

ولم يظهر سر الأسلام فى الفتوح ، وفى الخلفاء والأمراء فقط ، بل لقد ظهر فى المسلمين جميعاً ، فجعل من نفوس النساء والعجائز والأطفال مناراً يهتدى به الناس ، ومثلاً أعلى للنفوس الكبيرة ، حتى أن أبا بكر ليقسم مالاً بين النساء ، ويبعث إلى عجوز من بني النجار بقسمها من هذا المال ، مع زيد بن ثابت فتقول :

ـ ما هذا ؟ ـ فيقول : مال قسمه أبو بكر بين النساء

ـ فتقول : أترشونني عن ديني فيقول : لا

ـ فتقول : أتخافون أن أدع ما أنا عليه ؟ ـ فيقول : لا

ـ فتقول : والله لا آخذ منه شيئاً (١)

لا تأخذ منه شيئاً ، لأنها لم تسلم رغبة ولا رهبة ، ولكنها أسلمت لله ، فهى تبتغى ما عند الله

لا تأخذ منه شيئاً ، لأنها لا تحب أن يدخل بينها وبين ربها فيشغلها عن الأخلاص لدينها ، ويطمعها المال فى المال ، فتزيد فى العبادة ، وتبالغ فى التدين ، فتكون كأنما تعبدت للمال ، وعقيدة التوحيد ، التى استقرت فى نفس هذه العجوز ، كما استقرت فى كبار الصحابة وعلمائهم ، تدفعها إلى أن تعمل لله وحده ، وتسأل الله وحده ، وتؤمن بالله وحده

وتجتمع فئة من المسلمين معارضة تريد أن تستأثر بالحكم ، لأنها ترى لها فيه حقاً ، ولا تقبل فى ذلك هوادة ، ثم يأتيها ثلاثة رجال من الفئة التى تعارضها ، وتجتمع لتناوئها ، فترجع عما اعتزمته بكلمة واحدة تبصر فيها ضياء الحق

(١) ابن سعد فى الطبقات

قال عمر للأنصار يوم السقيفة :

ـ ألستم تعلمون أن رسول الله صلى عليه وسلم قدم أبا بكر للصلاة ؟

ـ قالوا بلى

ـ قال : فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم من قدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

ـ قالوا : لا أحد !

ـ ثم قاموا يبتدرون البيعة (١)

فأين هذا من منازعات الأحزاب على الحكم فى الدول الراقية فى القرن العشرين ؟ وأين ديمقراطية أوربة ودعواها الخلاص من الحكم الفردى من ديمقراطية المسلمين الأولين ؟

أما إن استبداد لويس الرابع عشر ، هو استبداد روبسبير ، وهو هو استبداد هتلر ، لم تنج أوربة من الأستبداد فى الحكم يوماً واحداً ، ولم يحقق النظام البرلمانى شيئاً من أمانيها الديمقراطية ومبادئها البراقة التى تخدع بها الأطفال الكبار من الشرقيين (٢)

أما نظام الحكم فى الأسلام ، فهو النظام الديمقراطى الصحيح ، الذى لا يجعل من أمير المؤمنين أكثر من منفذ للقانون الالهى الثابت الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . وهو أبعد شىء عن النظام الملكى الوراثى . وكان المسلمون الأولون يفهمون هذا النظام أصح فهم وأجوده ، وكان العامل من عمالهم يعلم أنه إنما يسأل عن عمله بين يدى الله ، وإنما يقوم به لمصلحة المسلمين لا لرضاء أمير المؤمنين ، وقد يبالغون فى ذلك حتى أن معاذ بن أيمن يقدم المدينة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقول له أبو بكر : ارفع حسابك . فيقول : أحسابان : حساب من الله وحساب منكم ؟ والله لا ألى لكم عملاً أبداً (٣)

ويطلب أمير المؤمنين عثمان من خازنه مالاً ، فيأباه عليه . فيقول : « إنما أنت خازن لنا ، إذا أعطيناك نخذ ، وإذا سكتنا عنك فاسكت »

(١) رواه النسائى والحاكم وصححه

(٢) يقول ذلك الأستاذ جيز أحد جهابذة الحقوق العامة الفرنسية ويثبته بالحجج والأرقام ؛ فى مقال له ممتع ، فى الصفحة ٦٦٦ من العدد الثانى من مجلة الحقوق العامة والعلم السياسى فى سنة ١٩٢٧ . وهذا المقال صفعة قوية لأنصار هذا النظام

(٣) عيون الأخبار